جملة النداء في ديوان البرزخ والسكين" لعبد الله حمادي (التركيب والدلالة)
The call in the Divan of "Al-Barzakh and the knife" by Abdullah Hammadi (Structure and Meaning)

عبد الله باوني

جامعة العربي التبسي – تبسة (الجزائر)

baouni.dz12@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2018/10/11	تاريخ القبول: 2019/02/15	تاريخ النشر: 2019/07/15

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى إعادة دراسة بعض قضايا النداء مثل: طبيعة جملة النداء أهي إنشائية أم خبرية، ومكوناتها، وقضية إعراب المنادى وبنائه، وأنماط المنادى، والدلالات المستنبطة، وقضية فعل النداء المحذوف... في ضوء أبنية تركيبية شعرية معاصرة لعبد الله حمادي من خلال ديوانه البرزخ والسكين.

وبين يدي هذا البحث توجه الى أن النص الشعري المعاصر المتميز بجدة تراكيبه وتنوعها يمكن أن يسهم في ايجاد حلول لقضايا النداء أو على الأقل التوجيه الى الصائب منها مما سلف من دراسات.

الكلمات المفتاح: الجملة، النداء، الإنشاء، الخبر، الإعراب، البناء، المعاصر، النص، التركيب، الدلالة.

Abstract:

The present research studies some of the interpellation issues, such as the nature of the interpellation sentence between the creation and the predicate and its components, the issue of the vocative expression and its structure, the patterns of the vocative and the issue of the deleted interpellation action ... in the light of a contemporary poetic article by Abdullah Hammadi, throw his Diwan of "El-Barzekh and Assekkin".

Between the hands of this research, a direction to the contemporary poetic text which had been distinguished by its structures and diversity can contribute to find solutions for the appeal issues or at least the guidance to the right ones from the previous studies.

Keywords: Sentence; The appeal; the construction; informing ; the expression; the building; the contemporary; the text; the composition; Significance

مقدمة:

حظي موضوع النداء وما يشتمل عليه من مباحث مثل: طبيعة جملة النداء وأقسام المنادى وأنماطه وما يمكن ان يرتبط بها من وظائف متعددة حسب التركيب الذي جاء على منواله

وما صاحبه من سياق، وقضية إعراب المنادى والعطف عليه ووصفه... اهتماما كبيرا من قبل الدارسين السابقين والمعاصرين.

وفي هذا الاطار تتنزل هذه الدراسة لتسهم ولو قليلا في توضيح جوانب من هذه المباحث مستندة الى نص شعري معاصر ثري بنماذج تركيبية متنوعة لموضوع النداء متمثلا في: ديوان "البرزخ والسكين" لعبد الله حمادي.

وقد وضعنا تبعا لذلك خطة جمعت بين جانبين نظري وتطبيقي، اشتمل الجانب النظري على تعريف لغوي واصطلاحي للنداء جمع بين آراء القدامى واللاحقين، واقسام النداء، مع خصائص اسلوب النداء ودلالته

اما الجانب التطبيقي فقد عالج فيه الباحث بعض القضايا التي ظلت محل بحث في موضوع النداء وذلك في ضوء تراكيب النداء الواردة في الديوان السالف وما صاحبها من دلالات خاصة، واخرى تقرب المسافة نحو الآراء الصائبة لمعالجة قضايا النداء، ولتحقيق أهداف تلك الخطة اتبعنا منهجا وصفيا تحليليا بما يتلاءم مع طبيعة هذا البحث.

أولا: بنية النداء ودلالته:

(أولا–1) تعريف النداء:

(أولا–1–أ) لغة: النداء مأخوذ من «ندى الصوت بمعنى بُعده، ومنه فلان ندي الصوت أي بعيده، أو مأخوذ من قولهم: ندي الصوت بمعنى حسن»[1]. والنداء: «الظهور والدعوة والصياح»[2]. «وندى الصوتُ بُعد مذهبه والنداء ممدود والدعاءُ أرفع الصوتِ وقد ناديته نداءً»[3]. «مصدر نادى مناداة ونداء الرجل: صاح به»[4].

(أولا–1–ب) اصطلاحا: وهو «تنبيه المنادى وطلب الإقبال منه بحرف من حروف النداء، أو أنه التصويت بالمنادى ليميل ويعطف على المنادى»[5].

والنداء هو «الدعاء بـ(يا) أو إحدى أخواتها، أو هو: طلب الإقبال بإحدى أدوات النداء»[6]. وهو: «طلب الإقبال بالحرف (يا) وإخوته، وهو توجيه الدعوة إلى المخاطب وتنبيهه للإصغاء، وسماع ما يريد المتكلم كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ} [سورة المائدة، الآية 11]..»[7].

ويعرفه الدكتور "صالح بلعيد" (النداء) بأنه: «توجيه الدعوة للمخاطب، وتنبيهه للإصغاء، وموجه للعقلاء»[8].

أما "المهدي المخزومي" فيرى أن: «النداء تنبيه ولا شيء غيره»[9]. وفي موضع آخر يقول: «النداء: هو تنبيه المنادى، وحمله على الالتفات»[10].

ويشير إلى أنه إذا كان القدماء قد اختلفوا في عامل نصب المنادى، فإن المحدثين قد اختلفوا في تسمية أسلوب النداء، «فقد سماه الدكتور عبد الرحمن أيوب "جملة غير إسنادية"، وسماه المستشرق برجبشتراسر "شبه جملة"»[11]. أما هو فيرى بأن «النداء حالة من حالات التنبيه، فهو مركب لفظي بمنزلة أسماء الأصوات يستخدم لإبلاغ المنادى حاجة»[12].

وذهب الدكتور "تمام حسان" إلى أنه: «من الجمل التي تعتمد على الأداة ومعناها»[13]. وصنفها ضمن الجمل الاستثنائية الطلبية:[14].

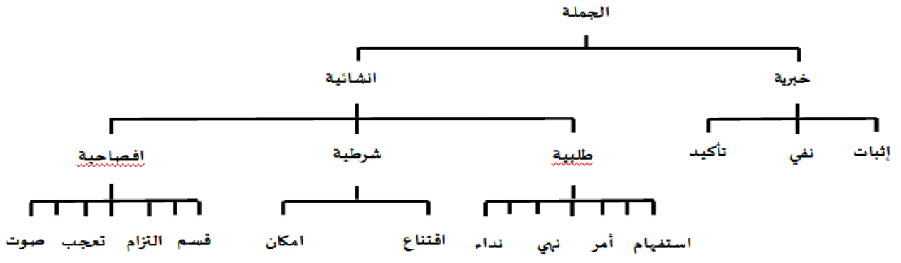

(تصنيف تمام حسان لجملة النداء)

(أولا–2) أقسام المنادى:

نال موضوع النداء عند جمهور النحاة العرب حظاً كبيراً من الدراسة، فقد عنوا بالبحث في جوانبه المختلفة في ضوء نظريتهم للغة العربية، فنجد "سيبويه" (180هـ) يفسح مجالا كبيراً لمناقشة موضوع النداء، فيعرض للأنماط والوظائف المتعلقة بها كالنداء الحقيقي ونداء الندبة ونداء الاستغاثة ونداء التعجب، ويعرض لأنماط المنادى، كنداء العلم، والنكرة المقصودة، والنكرة غير المقصودة، والمضاف، والشبيه بالمضاف، أو ما يصيب المنادى من ترخيم، مرزا في ذلك على علاقة الشكل بالعلامة الإعرابية التي هي محل الاهتمام...الخ، القضايا المتعلقة بالتركيب، وما يتعلق به كالعطف عليه أو الوصف أو التوكيد[15].

اتفق النحويون القدامى العرب والمعاصرون على تقسيم المنادى إلى خمسة أقسام وهي[16]:

- المنادى المفرد.
- المنادى النكرة المقصودة.
- المنادى النكرة غير المقصودة.
- المنادى المضاف.
- المنادى الشبيه بالمضاف.

(أولا–3) خصائص أسلوب النداء ودلالاته:

يرى النحاة أن لكلامنا أصلا يتسع فيه على صور مختلفة لاحقا تتشاكل أصله، فالإيجاب أصل لغيره من صور الكلام كالنفي والنهي والاستفهام، وقد ذهب سيبويه إلى أن "أول الكلام أبداً النداء إلا أن تدعه استغناء بإقبال المخاطب عليه فهو أول كلام لك به تعطف المكلم عليك"[17].يقول الجرجاني "أو تتوخى في كلام هو لإثبات معنى أن يصير نفيا أو استفهاما أو متمنيا فتدخل عليه الحروف الموضوعة لذلك"[18]. وذهبوا إلى أن الخبر أصل للإنشاء، يقول الخطيب المشقي (القزويني): "وإنما ابتدأ بأبحاث الخبر لكونه أعظم شأنا وأعم فائدة... ولكونه أصلا في الكلام لأن الإنشاء إنما يحصل عنه باشتقاق كالأمر والنهي أو نقل كعسى ونعم وبعت واشتريت أو زيادة كأداة الاستفهام أو التمني، وما أشبه ذلك"[19].

يتفق أغلب النحاة على أن النداء هو من الإنشاء الطلبي، يقول الفارابي: "... فإن النداء يقتضي (يطلب) به أولا من الذي نودي الإقبال بسمعه وذهنه على الذي ناداه منتظراً لما يخاطبه به بعد النداء"[20].

وكذلك يرى السكاكي أن في قولك: "يا زيد" طلب منك لإقباله عليك وكذلك فعل الخطيب القزويني، إلا أن الكاتبي جعل النداء من التنبيهات ولأنه يدل على الطلب دلالة أولية أي بالوضع[21].

إلا أن بعض النحاة المعاصرين رفضوا هذا التخريج معتبرين أن أغلب ما يذكره النحاة من أصول تعبيرية عربية مجرد افتراض محض لا غير، يقول الدكتور فاضل صالح السامرائي بعد أن شرح أدلتهُ التي خص بها تلك الفروض: "وأما ما يتعلق برأي سيبويه من أن أول الكلام النداء فهذا على افتراض أن الكلام كله قائم على مخاطبة شخص لآخر أو آخرين، ولاشك أنه ليس الكلام كله على هذا النحو، فإن هناك كلاما يخرج عن هذا النحو، فلا يصح فيه ما قال سيبويه وذلك نحو

قولك (الحمد لله رب العالمين)، و(سبحان ربي العظيم)...، وكقول مريم عليها السلام.. {يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا} [سورة مريم، الآية 23]، فهي تكلم نفسها ولا تخاطب أحداً[22].

(أولا–4) بعض القضايا التي يطرحها موضوع النداء:

(أولا–4–أ) تركيب النداء بين القدامى والمحدثين:

إن الناظر فيما يسمى بجملة النداء المكونة من الأداة والمنادى في مثل: "يا محمد" وجدناها غير مقصودة لذاتها، أي أن الفائدة لا تتم بها، وإنما تتم الفائدة بما سيأتي بعدها من كلام، وهو ما يسميه أستاذنا الدكتور محمد خان "جواب النداء أو المنادى به".

ومادامت الفائدة التي هي شرط الكلام لم تتحقق إلا بجواب النداء، كان لابد من ضمه إلى جملة النداء بوصفه جملة خاضعة غير مستقلة في تركيب النداء، وإن كانت مستقلة قبل أن تكون جوابا له، ويبدو لنا الأمر في تركيب النداء من هذه الناحية يشبه تركيب الشرط، فجملة جواب الشرط كانت أيضا مستقلة، فلما وظفت جواب للشرط أصحبت خاضعة غير مستقلة.

إن ما يسمى بجملة النداء ما هي إلا وسيلة من وسائل تنبيه المخاطب، ولابد من ضم جملة جواب النداء إليها ليكون الكلام تاماً[23].

وعلى الرغم من اقتناع المحدثين بأن النداء ليس جملة تقوم على الإسناد، كما يفهم من مصطلح الجملة، إلا أنه لا أحد منهم – في حدود علمنا – أعطى مصطلحا واضحا لأسلوب النداء، ولذلك سنحتفظ بمصطلح جملة النداء، ولكن لن نقصد بها التعبير المتكون من أداة النداء والمنادى فحسب، بل إننا سنوسعها أكثر من ذلك[24].

فالموقف الإبلاغي يتكون من أربعة عناصر هي:

– المنادي. – المنادى. – أداة النداء. – جوانب النداء.

ومن المهم أن نلفت النظر إلى أن الخليل "لم يتكلف عاملا للمنادى، فقد كان يرى أن سبب نصف المنادى المضاف، والنكرة المقصودة هو طول الكلام، وشبه نصبهما بنصب "هو قبلك" و"هو بعدك" وشبه بناء المفرد، والنكرة المقصودة على ما يرفعان به ببناء "قبلُ" و"بعدُ"[25].

والمستحدثون أغلبهم استحسن هذا التعليل، وزاد المخزومي المهدي على قوله (الخليل) بتأثير آراء أستاذه إبراهيم مصطفى المتعلقة بعلامات الإعراب بأن: نصب المنادى المضاف، والشبيه بالمضاف، والنكرة غير المقصودة نصبت لما طال الكلام، لأن الفتحة أخف الحركات[26].

وعموما فإن بنية النداء تتألف من (أداة) و(اسم منادى)، وأدواتها هي: (ب) و(أي) و(آ) و(أيا) و(هيا) و(أ) و(وا). ولكل أداة من هذه موضع يحسن توظيفها فيه على حسب تقدير مسافة المنادى قربا أو بعداً، أما (المنادى) فهو الاسم الذي يطلب المنادي إقباله حقيقيا كان أم مجازيا، ويكون قريبا فينادى بالهمزة أو بعيدا فينادى ببقية الأدوات.

وهذان (العنصران في النداء) يظهران على مستوى (البنية السطحية)، أما إذا نظرنا إلى البنية العميقة (فجملة النداء) تتكون من الفعل (أدعو) الذي ناب حرف النداء (يا) وهو (المسند) والمسند إليه الفاعل وهو (أنا)، والمنادى في هذا التقدير يقع موضع المفعول به المنصوب لأنه نوع منه[27].

ويرى الباحث فضل عاطف أنه وحسب منهج خليل عمايرة فإنه يمكن تمثيل تركيب النداء، كما في المخطط الآتي:

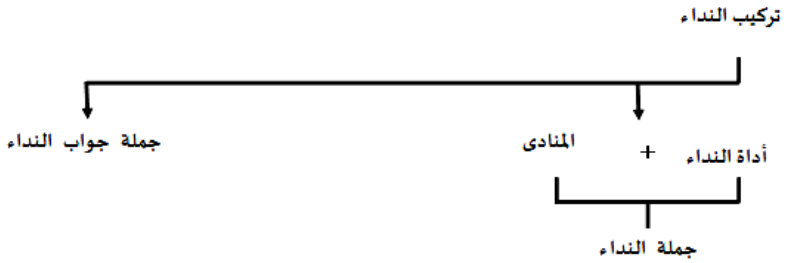

(تركيب النداء عند خليل عمايرة)[6]

أما أشكال أسلوب النداء فيقصد بها "تلك الطرق والوسائل اللغوية التي تستخدمها اللغة العربية في مستواها الحديث للتعبير عن الاستدعاء، وطلب المخاطب من المخاطب أن ينتبه لمطلوب مخصوص سواء كان ذلك بالأدوات الموضوعة لهذا الغرض أو عن طريق حذفها واستبدالها بالموقف أو النغم الصوتي للتعبير عن حالة النداء، مع إمكانية تقدير المحذوف من البناء السطحي على مستوى البناء العميق، أو ما يسمى عند نحاتن بالتأويل والتقدير[28].

غير أن التركيز الأكبر في تراثنا النحوي يدور حول مكونات الشكل التركيبي وحركات الإعراب والبناء وعلاقة التابع للمنادى ومدى تلاؤم الموقع مع الحركة الإعرابية، أو تأثير اللاحق على السابق كما هو الحال في نداء الموصوف بابن...[29].

(أولا–4–ب) وصف المنادى المفرد:

من قضايا النداء الهامة التي عالجها الأستاذ شعبان صلاح في عبارة النداء "دخول حرف النداء على صفة دخلت مع ما قبلها في علاقات، ودخوله على الصفة المجردة في مثل قولنا: يا قاتل.

فالنحاة وضَعُوا (القاعدة) أولا، وهي أن (النداء من علامات الاسم)، وحين وجد بعضهم أن الوصف بعده يكون مرتبطا بضميمة مرفوعة مثلُ: يا حسن فعله، أو منصوبة مثل: يا طالعا جبلا، جعل النداء واحداً من الأشياء التي (يعتمد عليه الوصف ليتسنى له العمل)، لكن جمهور النحاة رفض أن (يُعتد) بالاعتماد على حرف النداء، إذ "المعتمد ما يقرب الوصف من الفعل، وحرف النداء لا يصلح لذلك لأنه مختص بالاسم لكونه من علاماته، فكيف يكون مقربا من الفعل[30].

لكن (العرب نطقوا هكذا) على الرغم من قواعد النحاة فكان لابد من ذلك التسويغ القائل باعتماد الوصف على موصوف محذوف؛ فيا ضارب زيداً تقديرها يا شخصا ضارب زيداً.

والذي أراه أن مثل هذا التركيب نودي فيه الوصف مع ضميمته ككل بعد أن نقل إلى معنى المفرد، واستعمال استعماله، إن (طالعا جبلا)، وأمثاله تركيب جملي استعمل استعمال الأسماء فنودي بعد أن نقل عن الجملة الوصفية إلى الاسمية وليس وصفا عاملا كما يقولون.

(ويؤنسني) في نظرتي هذه قول (السيوطي): "فإن قلت: كيف يكون قولنا، يا خيراً من زيدٍ، ويا ضاربا رجلا، معرفة وقد خرج بلفظ النكرة؟ قلت: فإن تعريفه يكون على وجهين: أحدهما أن تسمي بذلك رجلا فيصير قولك: يا خيراً من زيد، ويا ضاربا رجلا بمنزلة قولك: يا زيدا ويا عمرو ونحوها من الأسماء المختصة، والوجه الثاني: أن تقبل بندائك على رجل معين تخصه من جميع من بحضرتك، فيصير قولك: يا خيراً من زيدٍ ويا ضاربا رجلا بمنزلة قولك: يا رجل لمن تقبل عليه[31].

هذا إذا دخل حرف النداء على صفة دخلت مع ما بعدها في علاقات، أما دخوله على الصفة المجردة عن ضمائمها في مثل قولنا: يا قاتل، فلأن الصفة قد قربت هنا من دائرة الأسماء وإن لم تدخلها لأن المنادى هنا تعرف بالنداء ومن ثم سموه نكرة مقصودة وهو بترفه ذلك كأنه سمي بهذا الوصف فأصبح له شارة[32].

ويرفض الدكتور جميل علوش قضية وصف المنادى المفرد بشدة، والإنسان حين ينادى لا ينادى بشرط كما قال أبو العباس المبرد، ولذلك كان من السخف الظاهر أن نقول: يا زيدُ الكريم! لأن اجتزاءنا بالمنادى وحده يفي بالغرض في كتب النحو، بل تزيدنا إلا تعقيدا وحيرة، يرى قائده من الأمثلة التي يصطدم بها الدارس المصنوعة والمفترضة، ويرى مع الأصمعي أنه "لا يوصف المنادى المضموم لشبهه بالمضمر الذي لا يجوز وصفه"[33].

ويقول: "وقد تتبعت الآيات القرآنية التي ينادى فيها الأعلام من الأنبياء كإبراهيم وإسماعيل وإسحاق وعيسى وموسى ويعقوب...الخ، فلم أجد استعمالا واحداً منها جاء فيه المنادى موصوفا، وفي مثل واحد من تلك الأمثلة ورد المنادى موصوفا ولكن في نداء مستقل عما قبله ذلك في قوله تعالى: {يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا} [سورة يوسف، الآية 46]، فلم يقل: يا يوسف الصديق بل قال: يوسف أيها الصديق، وهذا يعني أن المنادى العلم لا يوصف.

(فالوصف) إما أن يكون مرفوعا على النعت المقطوع أي أن خبر لمبتدأ محذوف، وإما أن يكون منصوبا على المدح أو على تقدير "أعنى" كما يقال الأصمعي: فارتفاع "الظريف" في نحو قولك: يا زيدُ الظريفُ على تقدير أنت الظريفُ وانتصابه على تقدير أعني الظريف. هذا إذا كان المنادى علما فإذا كان نكرة مقصودة كان وصفه أكره وأشنع.

ولقد جاء ابن تمام بشيء من ذلك حين قال:

إن رحت تصديق ذاك يا أعورُ الدجّالُ فالحظهمو ولا تَذُبِ

فقد وصف "أعور" وهي نكرة مقصودة "بالدجال" وهي معرفة، فقال التبريزي جعلتا على ذلك: جعل "أعور" معرفة بالنداء ثم نعته بالدجال، وبعض العرب يستوحي هذه البنية، واستعمالا في كلامهم قليل، ولا يكاد يوجد يا غلام العاقل أقبل[34].

(أولا–4–ج) المنادى معرب أم مبني؟

اختلف النحويون العرب الأوائل في قضية إعراب المنادى من بنائه، فقد "ذهب (الكوفيون) إلى أن المنادى المعرف المفرد (معرب) مرفوع بغير تنوين، وذهب الفراء من الكوفيين إلى أنه مبني على الضم، وليس بفاعل ولا مفعول، وذهب (البصريون) إلى أنه (مبني) على الضم، وموضعه النصب لأنه مفعول"[35]. وقد ذكر أبو البركات بن الأنباري في مؤلفه "الانصاف في مسائل الخلاف" جميع الحجج التي احتج بها الطرفان ويفهم من ردوده أنه يرجح الرأي البصري القائل ببناء المنادى في

موضع النصب لأنه مفعول[36]. وقد سار على هذا الرأي كثير من النحويين اللاحقين أمثال ابن هشام الأنصاري الذي أكد على أن "المنادى المفرد المعرفة ملزم الضم أو نائبه (الألف في المثنى والواو في جمع المذكر السالم)، ونعني هنا: ما ليس مضافا ولا شبيها به، ولو كان مثنى أو مجموعا، ونعني بالمعرفة: ما أريد به معين، سواء كان علما أو غيره، فهذا النوع يبنى على الضم في مسألتين:

- إحداهما: أن يكون غير مثنى ولا مجموع جمعا مذكراً سالما، نحو "يا زيدُ..."
- الثانية: أن يكون جمع تكسير نحو قولك: "يا زيودُ..."

وبنى على الألف إذا كان مثنى، نحو "يا زيدان" و"يا رجلان" إذا أريد بهما معنى.

ويبنى على الواو إذا كان جمع مذكر سالم نحو "يا زيدون" و"يا سلمون" إذا أريد بهما معنى.

وإذا كان المنادى مضافا، أو شبيها بالمضاف، أو نكرة غير معينة فإنه يعرب نصبا على المفعولية، فلا يدخل في باب البناء"[37].

ومن النحويين المعاصرين الذين ناقشوا جوانب هذه القضية الدكتور علوش جميل في مؤلفه "الإعراب والبناء دراسة في نظرية النحو العربي" حيث أعاد استحضار هذه الجوانب الخلافية وأبدى فيها رأيه ومنها:

-إذا قبلنا أنّ المنادى العلم أو النكرة المقصودة يكون مبنيا على ما يرفع به، فإنه لا سبيل أن يوصف المنادى على لفظه، أي أن الصفة ترفع على التبعية مثل: يا زيدُ الكريمُ، وحجته أن الاسم المبني يعرب تابعه حملا على المحل لا على اللفظ[38]. ووجب أن يكون منصوبا على المحل.

-ويؤكد في موضع آخر رأيه قائلا: "وحتى لا يحصل تناقض بين بناء المنادى على الضم مرفوعا تابعه على الوصف أو البدلية أو التوكيد، إذ ليس من الممكن ولا القبول أن يتبع المنادى المبني على اللفظ، في حين أنه من المعروف أن الاسم المبني يعرب على المحل لا على اللفظ، ومما يؤكد ذلك أن المنادى لا يمكن أن يكون وصفه مرفوعا لو كان حقا مبنيا على الضم، وإن هذا الخلط... يوقع المعرب في عدة إشكالات لا يقبلها عقل ولا منطق، ومن تلك الإشكالات:

- في قولنا: يا أيّها الرجلُ... و.. إذا كانت أيّها مبنية على الضم حقا فلماذا جاء تابعها مرفوعا؟ بل لماذا لم يجز في هذا التابع أن يجيء منصوبا على المحل كما في غيرها من حالات النداء... مثل: يا زيد الكريمُ برفع الكريم ونصبه؟.

- في نداء العلم المبني مثل "سيبويه" يختلط الأمر بين البناء الأصلي والبناء العارض... نقول في إعراب سيبويه: إن منادى مبني على الضم الذي منع من ظهوره حركة البناء الأصلي... وإذا كان البناء على الضم لم يظهر على "سيبويه" فكيف نبيح لأنفسنا أن نتبعه بصفة مرفوعة؟... والأقرب إلى المنطق أن نقول إن المنادى مرفوع وأن "سيبويه" علم مبني على الكسر في محل رفع، وإلا فمتى جاء أن يتحاور اسما واحداُ بناءان: بناء ثابت وبناء عارض؟[39].

ونرى مع ابن الأنباري أن ذلك سمع من العرب، وقد أورد أدلة كثيرة تؤكد تقديم السماع على القياس، "وحمل الوصف والعطف على الموضع جائز في كلامهم، كما يحمل على اللفظ، ولهذا يجوز بالإجماع ما جاء فيه من أحدٍ غيرُه" بالرفع، كما يجوز بالجر، قال تعالى: {مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ} بالرفع والجر، فإن الرفع على الموضع، والجر على اللفظ"[40].

أما جميل علوش فالحل الذي يراه هذا الباحث في جزئية بناء المنادى المفرد من إعرابه "أن لا شيء يمنع كون المنادى المفرد مبنيا على الضم كما يرى البصريون إذا لم يتصل به تابع من التوابع لأنه حينئذ يشبه صوتا من الأصوات مبنيا على الضم، لأن الصوت لا يجوز نعته ولا العطف عليه"[41].

ثانيا: بنية النداء ودلالته في ديوان "البرزخ والسكين":

تواترت بنية النداء في ديوان "البرزخ والسكين" لـ: عبد الله حمادي 50 مرّة، استخدم في جميعها الأداة (يا) مذكورة في أغلب الأحوال ومحذوفة ومقدرة قليلا، وانفردت الأداة (يا) بتركيب بنية النداء في كل أحوال المنادى فلم يظهر أي أثر لأدوات النداء الأخرى.

وبناء على ذكر الأداة وحذفها توزعت بنية النداء على نمطين اثنين:

(ثانيا–1) النمط الأول: النداء بـ(يا) مذكورة.

تواترت بنية هذا النمط 39 مرة، ورد أغلبها في قصيدة "رباعيات آخر الليل"، وقد صنفت حسب موقع حرف النداء وجملة النداء والمنادى في الصور الآتية:

(ثانيا–1–أ) الصورة الأولى: (حرف نداء + منادى معرفة + جملة جواب النداء)

ومن أمثلة هذا التركيب قوله:

يا غريرُ بما تجن المرايا؟[42].

وقد جاءت جملة جواب النداء في هذا المنوال التركيب جملة استفهامية يحاور فيها المنادى مناديه، لا تمثل هذه الجملة إلا بداية هذا الحوار، وهو ما يوضح جانبا مهما يتعلق بقضية هامة في من قضايا النداء وهي طبيعة جملة النداء أهي خبرية أم إنشائية؟ فالبنية العميقة لهذا التركيب تدل على أن الشاعر في معرض تذكير لمخاطبه ومناديه بجملة من الأمور، وإنما ينتظر منه هو نفسه تقريرها بدلا عنه، وفي القرآن الكريم ما يؤكد ذلك في قوله تعالى: {يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [سورة يوسف، الآية 39].

ومن أمثلة هذه الصورة التركيبية للنداء التي جاء فيها المنادى منصوبا بسبب الاضطرار إلى تنوينه قوله:

يَا مليكاً أتأسر الطير قسراً أم تقيم من المذابح قصراً؟[43].

إذ جاء جملة النداء مركبة من جملتين استفهاميتين معطوفتين بحرف العطف (أم) من دلالتي الجملتين المختلفتين ظاهريا دلالة في بوتقة واحدة تفيد إسْتِنكَارَ حدوث أفعال صهرت من المنادى (المليك) كالأسر القسري وإقامة القصور من المذابح...

ومن أمثلة هذه الصورة أيضا نجد:

يا سجينا ويا قرير العيون يا ظنينا بسب وهج الفنون
ذاك قيثاري فاعتمده نذيراً[44].

وهي من التنوعات النمطية لتركيب النداء في هذا الديوان، حيث جاء هذا التركيب على منوال الصورة الأولى ولكن مع تنوعات في صور المنادى معطوفة على الأولى، وفي تنوع صور المنادى وتعدد وصفه دلالة واضحة ورغبة كبيرة من المنادي على تعلقه بمناديه وضرورة إجابة ندائه، ومن جهة أخرى (تركيبية) فإنها إجابة عن إحدى أهم قضايا النداء (وصف المنادى)، فمن الممكن إذن وصفه دون أدنى حرج، وهو نمط لغوي فتنشر كثيراً في لغتنا العربية المعاصرة.

(ثانيا–1–ب) الصورة الثانية: (جملة جواب النداء محذوفة + حرف نداء + منادى مضاف "مركب وصفي وبياني")

وقد وردت بنية هذه الصورة مرة واحدة في "قصيدة الجزائر" يقول الشاعر عبد الله حمادي:

(...) يا أرضَ أغنيةٍ إذا ما أورقت حِمَمُ الجراحِ على الثرى كي تثمرا[45].

وقد جاءت جملة جواب النداء المتصدرة بنية تركيب النداء في هذا المثال محذوفة، في دعوة واضحة للقارئ لإدراك الدلالة تلك الجملة المحذوفة في ضوء انشغال الشاعر إضفاء مزيد من الصفات والمعاني الكثيفة وتصورها لمناديّهُ.

وهذا النموذج التركيبي للنداء واحد من أنماط النداء، أيضا المعاصرة التي اختص بها الشعر العربي المعاصر.

(ثانيا–1–ج) الصورة الثالثة: (حرف نداء + منادى شبيه بالمضاف + جملة جواب النداء "جملة تعجبية")

ومن أمثلة هذه الصورة التركيبية في ديوان الشاعر قوله:

يا امرأة من عصر التوت

ما أشهى الجسر ولعنته[46].

وترتبط في هذا المثال التركيبي للنداء دلالة مضمون النداء ارتباطا وثيقا بما اتصل من تمام معنى المنادى (المرأة)، فإذا أباحت (المرأة) لنفسها الغواية والخروج عن المألوف والمطلوب منها فإنها بالطبع ستأثر تأثيراً عميقا يجعل مريدها يتبعها من طرف الجسر إلى الطرف الآخر ولو كان في ذلك اللعن والطرد.

(ثانيا–1–د) الصورة الرابعة: (حرف نداء + منادى مضاف + جملة جواب النداء)

وردت بنية هذه الصورة التركيبية للنداء 03 مرات في موضعين مختلفين في قصيدة "هي ليلاي"، ومن أمثلته قوله:

يا امرأة البلور وتوت الأحراش البرية

دعيني يهزمني الليل وترهقني الطرقات الوهمية[47].

والملاحظ على نماذج النداء وبنيتها التركيبية عند حمادي عبد الله (إصراره) على وصف المنادى بشكل مستفيض في مخالفة واضحة لما قرره النحاة.

ومن أمثلة هذه الصورة التركيبية أيضا ما جاء مسبوقا بحرف نهي في قوله:

لا يا طائر الزمن الخافت

عاشق جئت

ومن خلفي قوافل

وأمامي برزخ[48].

والملاحظ في هذه الصورة التركيبية خروج الشاعر كعادته في كل مرة عن الصورة المعتادة للنداء وكأنه يريد إيصال دلالات معينة عبر الإضافة والوصف للمنادى، ثم التنويع الحاصل في تركيب جملة جواب النداء ونلحظ ذلك في البنية العميقة لهذه الصورة التركيبية، فـ(لا) النافية في بداية التركيب هي جواب وتعليق على كلام سابق محذوف دار بين المنادي ومناديه، يدعونا الشاعر من خلال ربط السابق باللاحق وعبر البحث في أعماق تلك البنية السطحية لاكتشاف المعاني المقصودة.

(ثانيا–1–هـ) الصورة الخامسة: (جملة جواب النداء + حرف نداء + منادى + تكملة جملة جواب النداء)

وردت بنية هذا الشكل ثمانية وعشرين مرة، ومن بين نماذجها التركيبية ما جاء في قصيدة "رباعيات آخر الليل" في قوله:

(...) فاسرج الآتي يا غريراً غادرْ
شاطئ الزحف لاختراق الدياجي[49].

وهذا الشكل التركيبي للنداء هو أيضا أحد أهم أنماط النداء في الشعر المعاصر، حيث يتم فيه توزيع مضمون جملة النداء قبل حرف النداء والمنادى وبعدهما، لتتوزع بذلك الدلالة وتتشظى ويصبح الوصول إليها محتاجا إلى تثبت أكبر. والملاحظ على هذا النمط التركيبي للدلالة أيضا استحالة على كثير من الحالات التي تحدث عنها النحاة وأجازوها من قبيل تجوز نصب المنادى المستحق للضم عند الاضطرار إلى تنوينه، أو أن يبقى مضموما، أو أن يفتح فتح إتباع... ومن ذلك قوله: صَدّع النورُ يا حبيبَةُ راسى[50].

وقوله: حالكما هي الحال
يا مَنْ تفزعان لصرير الباب... [51].

وقوله أيضا: دعيني يا امرأةً
ألتقط ياقوت الرحمة
من لقياك... [52].

وتتكرر هذه الصورة التركيبية في أحوال ندائنا المعاصرة، حيث يُوزع مضمون النداء على طرفي جملة النداء المكونة من حرف النداء والمنادى، وذلك لارتباطها بدلالة خاصة لا يرى المنادى تحققها إلا بتلك الصورة التركيبية بعينها، ففي هذا المثال جاء الجزء الأول من جملة جواب النداء جملة أمرية، يُفسرها الجزء الثاني المكمل لها من جملة جواب النداء (الجهة الفعلية: ألتقط..)

(ثانيا–2) النمط الثاني: النداء بـ(يا) محذوفة:

وردت بنية هذا النمط التركيبي سبع مرات في مواضع مختلفة، ومن أمثلة ذلك قوله:

... أطفالنا ... آن الآوان

لتنهضوا ... فإلى الحجارة [53].

وعلى منوال هذا النمط التركيبي (الذي حذفَ فيه حرف النداء)، جاءت تقريبا كل الأمثلة التي نسجها الشاعر في المواقف اللاحقة، حيث كانت كلها تقريبا خاضعة للصورة البنيوية الآتية:

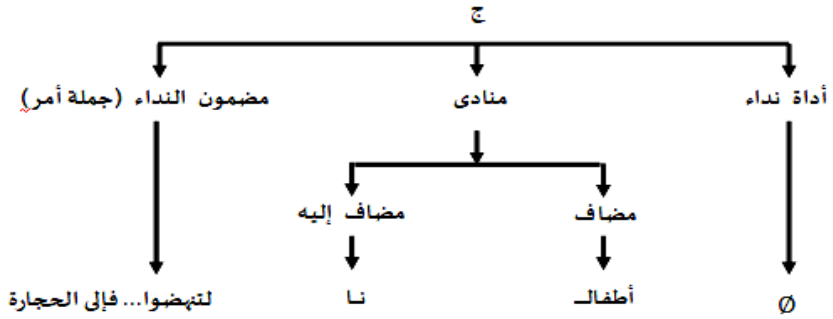

خاتمة:

توصل البحث بعد إجراء هذه الدراسة في شقيها النظري ثم التطبيقي في ديوان "البرزخ والسكين" لـ: عبد الله حمادي إلى النتائج الآتية:

1. النداء في العربية من أهم الظواهر اللغوية التي لحقها كثير من التغيير الشكلي والدلالي بسبب تنوع استعمالها، لذا نرى ضرورة إعادة دراسته من خلال نصوص شعرية ونثرية معاصرة، وتتبع الأدوات والتراكيب والوظائف الدلالية المتنوعة قصد رصد التغيرات الحاصلة في هذا المستوى.
2. استخدمت أداة النداء (يا) دون غيرها من الأدوات، وقد جاءت مذكورة ومحذوفة، ومواضع حذفها راجع لشعور المنادي بقربه من المنادى، مثل: جزائر، أطفالنا...
3. تنوع مضمون النداء بين المدينة والوطن والمرأة والأطفال...

4. تنوع المنادى، فجاء علما ومضافا ونكرة مقصودة وشبيها بالمضاف ونكرة غير معينة.
5. أكدت الدراسة أن لفهم جملة دلالة النداء يشترط توفر عناصر ثلاثة: أداة النداء، المنادى، وجملة جواب النداء (كما رأى البصريون)، وليس كما ذهب إليه الكوفيون من أن أمر النداء لا ينفك عن الأمر وما جرى مجراه من الطلب والنهي.
6. تنوع جملة جواب النداء وفقا لمقتضيات المعاني المقصودة، فكانت جملة خبرية واستفهامية وأمرية، ونهي...
7. فرض الانسجام مع طبيعة النداء ومضمون النداء في شعر حمادي عبد الله "البرزخ والسكين"، وفي مرات عديدة عدم الاكتفاء بمكونات جملة النداء الأساسية (حرف نداء ومنادى ومضمون النداء)، فامتدت جمل النداء في شعره واتصلت بجمل أخرى عطفية أو غائبة أو تعليلية أو غيرها.
8. تنوعت التراكيب الندائية، بنية تركيبية ودلالة التحقيق، التآلف بين البنى التركيبية ومعانيها.
9. خرج النداء في شعر حمادي عبد الله "البرزخ والسكين" عن معناه الأصلي إلى معانٍ أخرى عديدة تفهم من سياقها، ومنها: الدعاء، الاحتقار، التوسل، الأمر، الثورة...

الهوامش:

[1] شعبان عبد العاطي وآخرون، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004، ص912.

[2] اللبدي، محمد سمير نجيب، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1985، ص22.

[3] أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تح: يعقوب عبد النبي، ج14، دط، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، دت، ص192.

[4] فوال بابتي عزيزة، المعجم المفصل في النحو العربي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997، ص1098.

[5] (ابن يعيش) موفق الدين يعيش بن علي، شرح المفصل للزمخشري، ج3، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001، ص316.

[6] اللبدي، محمد سمير نجيب، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، ص219.

[7] فوّال بابتي عزيزة، المعجم المفصل في النحو العربي، ص1098.

[8] بلعيد صالح، النحو الوظيفي، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1994، ص101.

[9] المخزومي المهدي، في النحو العربي (نقد وتوجيه)، ط2، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1986، ص304.

[10] المرجع نفسه، ص301.

[11] المرجع نفسه، ص304.

[12] المرجع نفسه، ص311.

[13] حسان تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ط5، عالم الكتب، القاهرة، 2006، ص224.

[14] المرجع نفسه، ص244.

[15] محمد عبد الرحمن محمد، أسلوب النداء دراسة تقابلية بين الفصحى الحديث والعامية المصرية، مجلة علوم اللغة، العدد 03، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص204، 205.

[16] ينظر سيبويه، الكتاب، ج1، ص182، تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص224، (ابن هشام الأنصاري) أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ص108، أبو الفتح عثمان بن جني، اللمع في العربية، تحقيق: أبو مغلي سميح، ص79.

[17] المرجع السابق، ص251، نقلا: سيبويه، الكتاب، ج316/1.

[18] الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص45.

[19] السامرائي فاضل صالح، الجملة العربية والمعنى، ط1، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، 2007، ص251، نقلا عن: محمد بن عبد الرحمن القزويني (الخطيب الدمشقي)، المطول، مطبعة أحمد كامل، 1330هـ.

[20] الفارابي أبو نصر، كتاب الحروف، حققه محسن مهدي، ط2، دار المشرق، بيروت، لبنا، 1990، ص162.

[21] صحراوي مسعود، التداولية عند علماء العرب، دراسة تداولية أولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2005، ص114، 115.

[22] السامرائي فاضل صالح، الجملة العربية والمعنى، ص257.

[23] المرجع نفسه، ص296، 297.

[24] المرجع نفسه، ص297.

[25] أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، ج2، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988، ص183.

[26] المخزومي المهدي، في النحو العربي نقد وتوجيه، ص306، 307.

[27] بن خوية رابح، البنية التركيبية للقصيدة الحديثة، ط1، إربد، الأردن، 2013، ص230.

[28] محمد عبد الرحمن محمد، أسلوب النداء دراسة تقابلية بين الفصحى الحديثة والعامية المصرية، ص199، 200.

[29] المرجع نفسه، ص204.

[30] شعبان صلاح، الجملة الوصفية في النحو العربي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2004، ص70. نقلا عن منار السالك، 09/02.

[31] المرجع نفسه، 268/02.

[32] المرجع نفسه، ص71.

[33] علوش جميل، الإعراب والبناء، دراسة في نظرية النحو العربي، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1997، ص112، 113.

[34] المرجع نفسه، ص113، 114.

[35] (ابن الأنباري)، كمال الدين أبو البركات، الانصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2002، ص275.

[36] المرجع نفسه، ص275-285.

[37] (ابن هشام الأنصاري)، أبو محمد عبد الله جمال الدين، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دط، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1992، ص108، 109.

[38] علوش جميل، الإعراب والبناء دراسة في نظرية النحو العربي، ص107.

[39] المرجع نفسه، ص110، 111.

[40] ابن الأنباري، الانصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، ص283

[41] علوش جميل، الإعراب والبناء دراسة في نظرية النحو العربي، ص109.

[42] حمادي عبد الله، "البرزخ والسكين"، شعر، دط، منشورات جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2000، ص71.

[43] المصدر نفسه، ص57.

[44] المصدر نفسه، ص51.

[45] المصدر نفسه، ص28.

[46] المصدر نفسه، ص155.

[47] المصدر نفسه، ص143.

[48] المصدر نفسه، ص121.

[49] المصدر نفسه، ص41.

[50] المصدر نفسه، ص63.

[51] المصدر نفسه، ص129.

[52] المصدر نفسه، ص143.

[53] المصدر نفسه، ص31.